سِلْسِلَةُ: إِتْحَافِ الحَاضِرِ والبَادِي بِتَفْرِيغِ أَشْرِطَةِ العَلَّامَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي (٦٣/ ٨)

دروس رمضانية (٨)

شهر رمضان شهر القرآن

لِفَضِيلَةِ الشَّيخِ العَلَّامَةِ

د. مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي المَدْخَلِي -حَفِظَهُ اللهُ-

المُدرِّس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقًا

ألقاه فضيلته بعد عصر الأحد، ١٤ رمضان ١٤٤٥هـ

في مسجد بدري العتيبي بالمدينة النبوية

اعْتِنَاءُ

أَبِي قُصَيٍّ المَدَنِيِّ

-عَفَا اللهُ عَنْهُ وعَنْ والِدَيْهِ ومَشَايِخِه وَالمُسْلِمِيْنَ أَجْمَعِيْنَ-

بسم الله الرحمن الرحيم

دروس رمضانية (٨): شهر رمضان شهر القرآن [١]

قال الشيخ محمد بن هادي المدخلي -حفظه الله-:

«السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أمَّا بعد:

فيقول الله ﷻ: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ [البقرة:١٨٥]، فنصَّ ﷻ على أنَّ هذا الشهر المبارك -شهر الصوم- هو شهر نزول القرآن، وإذا كان كذلك؛ فينبغي للمؤمن فيه أن يعتني بهذا القرآن، كما كان النبي ﷺ يصنع ذلك، فيعتني بهذا القرآن تلاوةً، وإقامةً لحروفه، وإتقانًا لقراءته، فليجتهد المؤمن في ذلك، ولا سيما والوقت مناسب لهذا جدًا، فبعد العصر فيه متسع، وبعد الفجر فيه متسع، ومَن لم يكن له دوام رسمي في الدولة، أو عنده دوام لكنه أخذ إجازة في هذا الشهر -كما هو حال بعض الناس-، فبعد الظهر عنده متسع إذا نام من الضحى، فمن لم يكن متقنًا للقرآن ففي هذه الأوقات يستطيع أن يلتحق بالحِلَق عصرًا، أو فجرًا، أو يسمع أقل شيء تسجيلاً يضبط عليه، وقد تسهَّلت الأمور في هذه الأيام.

النبي -عليه الصلاة والسلام- لا يقرأ ولا يكتب، فكان جبريل ينزل عليه بالقرآن، وكلنا يعرف أول الوحي: «**اقْرَأ**»، قال -عليه الصلاة والسلام-: «**مَا أَنَا بِقَارِئٍ**»[٢] يعني لست بمتعلم القراءة والكتابة فاعرف فاقرأ، فقوله: «**مَا أَنَا بِقَارِئٍ**» يعني لست بمتعلم للقراءة

---

(١) ألقاه فضيلته بعد عصر الأحد، ١٤ رمضان ١٤٤٥هـ في مسجد بدري العتيبي بالمدينة النبوية.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٣)، ومسلم في «صحيحه» برقم (١٦٠).

والكتابة حتى اقرأ، كان حينما ينزل عليه جبريل بالقرآن يُردِّد معه، وهذا هو الشاهد الذي يهمنا يُردِّد معه حتى لا ينسى، فأنزل الله ﷻ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ لك في صدرك وقراءته عليك، ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة:١٧-١٨].

فالذي لا يقرأ أصلاً أُمِّيٌّ؛ يستطيع اليوم أن يجعل المُسَجِّل عنده ويُردِّد بعدها، فيحصل له الأجر، والذي يقرأ لكن قراءته فيها أخطاء يستطيع أن يُقَوِّم على آلة التسجيل قراءته إن لم يمكنه الحضور عند مَن يأخذ على يديه هذا القرآن ويصححه.

والحاصل -معاشر الأحبة-: **هذا الشهر هو شهر القرآن، فتلاوة القرآن وختم القرآن إذا لم يكن في هذا الشهر، فمتى يكون؟**

وقد كان -عليه الصلاة والسلام- يختم القرآن ويتدارسه مع جبريل في كل رمضان مرة، حتى كان العام الذي قبض فيه، فختمه معه مرتين -صلوات الله وسلامه عليه-.

والحاصل: أنه ينبغي للمؤمن في هذا الشهر أن يتعاهد القرآن بختمه، أضعف الإيمان مرة، وإلا فإن زاد مرتين فهذا كان آخر حال رسول الله ﷺ، وفارق الدنيا -عليه الصلاة والسلام- على هذا، ختمه مع جبريل مرتين، ولذلك قال أهل العلم أو بعض أهل العلم: (إنَّ هذا الحديث أصل في تكرار الختمة في رمضان).

واعلموا: أنَّ قراءة القرآن عند طالب العلم تختلف عنها عند غيره؛ إذ قراءة القرآن على نوعين:

- قراءته لفظيًا حتى يختمه.

- وقراءته مع تدبره بمعرفة معانيه، وهذا مطلوب من المسلمين جميعًا، ولكن أهل العلم هم أكثر الناس قيامًا بهذا، فتجدهم يأخذون معه التفسير، أو يدعون العلوم كلها، ويجنحون إلى التفسير؛ ليقفوا على معاني هذا الكتاب، ويتدبروه، ويعرفوا أسراره.

كثير من الناس الآن يقرأ له الأجر، لكن المعاني لا يعلمها إلا القليل، والدليل على ذلك انظر الآن المصلين في رمضان تمر عليهم آية الرحمة، تمر عليهم آية الوعد، تمر آية الوعيد؛ قليل من يتفطَّن لذلك، وإذا قام الإمام يدعو في القنوت قاموا كلهم يبكون، لمَ؟ لأنهم ما فهموا معاني الآيات، فإذا حصل أن يقرأ القرآن ويأخذ معه ما يكشف له المعاني من التفاسير المختصرة؛ فهذا أحسن وأحسن، لأنَّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم، وكيف يعمل بما فيه مَن لم يفهم معانيه؟! فالقرآن هداية، كتاب هداية، ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص:٢٩]، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ [الإسراء:٩]، فهو هداية.

والقرآن ذكرى؛ كما قال ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ﴾ [الإسراء:٤١].

والله ﷻ مع ذلك قد جعله لمن يقرأه ويعلم معانيه ويعمل بما فيه؛ جعله له حفظًا، وحرزًا، وحمايةً، وجعله له حجابًا ما بينه وبين الشياطين والجن، قال -تبارك وتعالى-: ﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ٤٥﴾ [الإسراء:٤٥]، فهو حجاب وساتر بينك وبين أهل الشر من شياطين الإنس والجن.

فينبغي للعبد أن يقوم بهذا القرآن على الوجه المطلوب، ولا سيما في رمضان -كما قلنا- الذي هو شهر القرآن، والنفوس فيه نشطة إلى الخير، ومحجوزة عن الشر، والنفوس أيضًا فيه متفرِّغة للخير، وفي الوقت نفسه قد ضعفت دواعي الشر فيها.

فإذا كان كذلك؛ فينبغي أيضًا لطالب العلم ألا يخسر هذا الشهر في عدم تدبره للقرآن، فيقرأ كتابًا مختصرًا في التفسير، يمر فيه على كتاب الله -تبارك وتعالى- كله في هذا الشهر، فإذا حصل له ذلك فهو الرابح.

ومثل المؤمن الذي يقرأ القرآن -يا معاشر الأحبة- قد بيَّنه النبي ﷺ بقوله: «**مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ**» أو: «**كَمَثَلِ الأُتْرُجَّةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ**»(١)، الأترجة رائحتها زكية، الأُتْرُج مثل الليمون، لكنه كبير، ورائحته شذية ونفاثة، يعني لو جئت بواحدة هنا نظيفة جديدة تُرَوِّح المكان كله برائحتها الجميلة، وطعمها حلو، هي مثل الليمونة الكبيرة الصفراء هذه، لكنها على مقاس أكبر، ورائحتها زكية، وبطنها على قسمين: البذر مع اللُّب، ثم البيضاء التي بين البذر وبين القشر، هذه حلوة كالسكر.

فمعنى ذلك: أنَّ الإنسان المؤمن الذي يقرأ القرآن طاب مخبره ومظهره، فرائحته جميلة بأخلاقه الحسنة، وأعماله الطيبة الجميلة، هذه هي رائحته، ذِكره الطيب هو رائحته، وباطنه حلو بإيمانه بهذا القرآن، فهو قد طاب مظهرًا ومخبرًا.

«**وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِى لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ، لاَ رِيحَ لَهَا، وَطَعْمُهَا حُلْوٌ**»، فباطنه طيب بالإيمان، فهذه حلاوة الإيمان، ولكن ليس له رائحة مثل الأول.

فيجب علينا -معاشر الأحبة-: أن نعتني بهذا الكتاب، والنبي ﷺ قد قال: «**اقْرَؤوا الْقُرْآنَ**»، قراءته فيها خير كثير، منها كما تقدم معنا في رمضان أنه يشفع لصاحبه، الصيام والقرآن يشفعان يوم القيامة للعبد، والنبي -عليه الصلاة والسلام- قد خصَّ القرآن بقوله: «**اقْرَؤوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ**»(٢)، أصحابه الذين يقرؤونه، كما جاء في النصوص: «**يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا، تَقَدَّمُهُمْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ...، تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٥٤٢٧)، ومسلم في «صحيحه» برقم (٧٩٧).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم (٨٠٤).

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم (٨٠٤).

فالنبي -عليه الصلاة والسلام- إنما جعل القرآن شفيعًا لصاحبه الذي يقرؤه، ويقوم به، ويؤمن به، ويعمل به، ويتأدب بآدابه، وهذه القراءة العظيمة لهذا القرآن مع هذا الأجر الذي ذكرنا فوقه أجر آخر وهو ما تعرفونه: ما ثبت في الأحاديث الصحيحة: «**مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ يَقْرَؤُهُ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: الْمٓ حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ**»(١)، فهذه ثلاثة أحرف بثلاثين حسنة، «الْمٓ» ثلاثين حسنة، فما أعظم الأجر، وما أيسر العمل، تذكر الله ﷻ يحصل لك بذلك ذكر الله، فإنَّ قراءة القرآن أعظم أنواع الذكر، ويحصل لك به الأجر المضاعف، الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبع مئة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، ويحصل لك أيضًا شفاعة القرآن، فتكون من أهل القرآن الذين يُشَفِّع الله ﷻ هذا القرآن فيهم.

فيا إخواني: هذا القرآن هو حبل الله المتين، هذا القرآن هو نور الله المبين، هذا القرآن كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء:١٧٤]، هذا القرآن شفاء للمؤمنين: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء:٨٢].

هذا القرآن -يا معاشر الأحبة- عصمة مِن الله لمن تمسَّك به: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣]، وحبل الله فيه تفسيرات كثيرة؛ ومن أشهرها: القرآن، ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣]، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩]، ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران:١٠١].

هذا القرآن -معاشر الأحبة- هو نجاة لمن اتَّبعه كما جاء في الآيات السابقة.

وهذا القرآن -معاشر الأخوة- هو مأدبة الله ﷻ، فلنقبل عليها، **وإذا لم يكن الإقبال على القرآن في هذا الشهر، فمتى يكون بالله؟**

---

(١) أخرجه الترمذي في «جامعه» برقم (٢٩١٠)، وصححه الألباني في «المشكاة» برقم (٢١٣٧)، وينظر «الصحيحة» له (٧/ ٩٧٠) بر قم (٣٣٢٧).

فينبغي لنا -معاشر الأحبة- أن نُرِيَ الله من أنفسنا خيرًا، وإنما هي أعمالنا يحصيها الله ﷻ، ويوفِّينا إياها، فالله غني عنا، ولكن نحن المحتاجون ونحن الفقراء.

﴿* يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر:١٥].

فاللهَ اللهَ في الاجتهاد -يا إخواني- في هذا الشهر في قراءة القرآن.

وقد كان سلفنا الصالح -رحمهم الله تعالى- في هذا الباب قدوة بعد رسول الله ﷺ، والقدوة هي في الخير -كما قلنا عدة مرات-، قال ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام:٩٠]، فالاقتداء إنما يكون بأهل الاهتداء.

فلا نُفَرِّط في هذا الشهر ونجعله كغيره، فلنختم مرتين، أو ثلاثًا، أو أربعًا، أو خمسًا، أو ستًا، ولكن ينبغي مع هذا أن تكون القراءة مستقيمة، وسليمة، لا يَهُذُّ القرآن هَذًّا، ومن ختم القرآن على أعلى تقدير له سَمَحَ به رسول الله ﷺ فيه؛ فإنه سيختم القرآن في رمضان فقط لأنه كما ذكرنا شهر التفرُّغ للعبادة، سيختم القرآن فيه عشر مرات، لأنَّ النبي ﷺ أعلى ما أذن فيه لابن عمرو ثلاثًا، «**اقْرَأْهُ فِي ثَلَاثٍ**»(١)، فمعناه كل يوم يقرأ عشرة أجزاء، وفي رمضان متيسر هذا، فسيختم القرآن عشر مرات، وما أعظمها من غنيمة؛ إذ يختم هذا الختم في هذا الشهر عشر مرات.

الزهري رحمه الله كلمته المشهورة في هذا في رمضان، كان إذا دخل رمضان قال: (إنَّ رمضان إنما هو شهر القرآن وإطعام الطعام)، فكانوا يتفرَّغون للقرآن -رحمهم الله تعالى-.

فينبغي للمسلم أن يحرص على ما حرص عليه سلفه الصالح.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (١٩٧٨).

والنخعي رَحِمَهُ اللَّهُ كان يختم القرآن في رمضان كل ثلاث ليال، عملاً بهذا الحديث الذي ذكرناه قبل قليل، لأنه ما بعد هذا إلا هذًّا كَهَذِّ الشعر، ونثرًا كنثر الدَّقل، كما قال النبي ﷺ، ففي الثلاث يختم الإنسان بالقراءة المتأنية التي يرتل فيها القرآن، ويتنبه لمعاني القرآن.

وفي العشر الأواخر كان النخعي يختم كل ليلتين.

ولا أريد الاستطراد في هذا، فأنتم تعرفونه، وفعل السلف الذي نقل عنهم في هذا الباب شيء يتعجب منه -رحمة الله تعالى عليهم-.

إخوتي: الدنيا لن تفرغ منها حتى يسحبوك برجليك إلى القبر، لن تفرغ منها، ولكن العاقل يجهد نفسه اليوم ويتعبها ليرتاح غدًا، كما قيل لبعض السلف حينما رأوا منه ما رأوا من التعب قالوا: لا تتعب نفسك، قال: (راحتها أردت) يوم القيامة، فإذا ما كان هذا الشهر والمواسم الفاضلة التي تتهيأ فيها الأسباب، ويعان فيها المؤمن على نفسه بتسهيل دروب الخير، وطرق الخير له، وإغلاق أبواب الشر، وقطع أصول أهل الشر عنه إليه، فمتى سينشط؟

أسأل الله ﷻ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعلنا وإياكم من أهل القرآن الذين هم أهله ﷻ وخاصته.

قال ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢﴾ [القدر:١-٢].

هذه الليلة التي فُخِّم هنا أمرها بقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ بُيِّنت في سورة الدخان، فقال ﷻ فيها: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان:٣]، فهي كثيرة البركة، وبُيِّنت أيضًا في نفس السورة سورة القدر: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾ [القدر:٣-٥].

فلأجل ذلك كان السلف يزيدون اعتناءً بالقرآن في العشر الأواخر التي فيها هذه الليلة التي أمر النبي ﷺ بالاجتهاد في هذه العشر حرصًا على حصول أجر قيام الليلة.

فنسأل الله ﷻ أن يعيننا وإياكم على أنفسنا، وأن يوفِّقنا وإياكم جميعًا، وأن يجعلنا ممن قام بهذا القرآن حق القيام تلاوةً، وتدبرًا، وعملاً.

كما نسأله ﷻ أن يرد ضال المسلمين، وأن يغفر ذنوب المذنبين، وأن يتوب على التائبين، وأن يسترنا وإياكم وجميع إخواننا المسلمين بستره الجميل في الدنيا والآخرة، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين».

اعْتِنَاءُ

أَبِي قُصَيٍّ المَدَنِيِّ

-عَفَا اللهُ عَنْهُ وعَنْ والِدَيْهِ ومَشَايِخِه وَالْمُسْلِمِيْنَ أَجْمَعِيْنَ-

فِي الثَّامِنَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ عَامَ خَمْسَةٍ وأَرْبَعِينَ وأَرْبَعِمِئةٍ وأَلْفٍ مِنَ الهِجْرَةِ